

الى جانب ذلك ، ثمة الانقسام التاريخي المعروف بين المدينة والريف والعلاقة غير المتوازنة بينهما ، ناهيك عن تشرذم السكان الزراعيين الى كثرة من القرى المعزولة ( حوالي ٨٥٠ قرية ، تشكل ٧٠٪ من مجموع السكان ) ، القائمة بذاتها والمكتفية نسبيا . هذا الانقسام والتشرذم ، مضافا اليها تركيز الحياة الثقافية والسياسية في المدينة ، جعلت الريف الفلسطيني ، شأن الارياف العربية الاخرى ، يستمر في كونه لا شيء Neant من الناحية السياسية ، طيلة فترة الصراع مع الصهيونية . نقطة ضعف المجتمع العربي ، لا الفلسطيني فقط . بل مقتلته تتركز في زيفه . في ١٩١٨ ، كان ، كما يقول « اوردمسي غور » ، المسلمون القرويون والمسلمون الملاكون موالون لبريطانيا (٥) .

المدينة الفلسطينية هي أيضا ، بدورها ، كانت مفتتة ومنقسمة عشائريا او عائليا . والمنافسات العائلية التقليدية الموغلة في القدم ( وبخاصة الخصومة بين عائلتي الحسيني والنشاشيبي ) بقيت بوجه عام عنصرا مهيمنيا في السياسات الفلسطينية ، حتى في أشد الفترات توترا واحتمادا ، سواء مع الحركة الصهيونية او مع الانتداب البريطاني .

ان مجتمعا كهذا ، غير ميسس او ما قبل سياسي Pré - Politique ، لم يستطع ان يواجه الغزو الاستعماري البريطاني بمقاومة ( ١٧ - ١٩١٨ ) . « طبقة الافندية كانت منقسمة وعاجزة » (٦) ، « ولم يكن ثمة مؤشر لدى السكان الاصليين على وجود تطلعات قومية لاجل الاستقلال ، والشعور القومي العربي ضعيف جدا » . وفيما بعد ، اي في أواخر العشرينات ، ومع تصاعد النشاط الصهيوني وكرده فعل عليه ، يولد شعور وطني فلسطيني - اسلامي ملتبس ، شعور تضامن ازاء الغزو القادم من الخارج .

في هذا السياق ، كان طبيعيا ان تكون الحركة الوطنية الفلسطينية ، في كافة اطوارها ، حركة وطنية تقليدية خالصة او تكاد . وتجلي هذا واضحا في هذا التمهيد او الاندماج بين الديني والعشائري في قيادتها التاريخية (٧) . من هنا كانت قواعدها المجتمعية تتمثل بالوجهات المحلية وبرجال الدين المسلمين في آن ، ووعيتها كان مشيخيا . القوى السياسية شبه الحديثة ( حزب الاستقلال ) حوصرت من قبل القوى التقليدية وبقيت هامشية . بسبب هذه البنية السياسية المفقوتة ، المماتة ، تكشفت عن عجز واضح عن بناء احزاب سياسية بالمعنى الحديث للكلمة ، فبقيت السياسات الفلسطينية . انعكاسا للمناقشات التقليدية ، الخسيسة ، الحقيرة ، التي قامت منذ اجيال واستمرت بين العشيرتين الرئيسيتين ، الحسيني والنشاشيبي ، فاستنفدت طاقات النضال الوطني الفلسطيني وسهلت انتصار الصهيونية .

وعلى هذا كان الجسم السياسي الفلسطيني ( فعليا : طبقة « الافندية » المستندة على قاعدة مجتمعية عشائرية ومدنية ) صغيرا ، لا لان طبقة « الافندية »